

"في التسليم للعترة الطاهرة"

أَسْلُوبُ التَّوَكِيدِ فِي احْتِجَاجِ الإِمَامِ الجَوَادِ عليه السلام  
دراسةٌ بلاغيةٌ في دَلالاتِ أسلُوبِ التَّوَكِيدِ ووظيفتهِ النظميةِ

Style of Emphasis in Argumentation of Imam Al-Jawad  
(Eloquence Study on Semantics of Emphasis and Its  
Versification Function)

م.د. عبد الكريم عبد القادر

Lect. Dr. `Abidalkareem `Abidalqadr

سوريا- جامعة حلب- كلية الشريعة- قسم اللغة العربية وآدابها  
Syria - University of Aleppo - Dept of Arabic and Literature ,  
College of Shary`aa

Fa8288425@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي  
Turnitin - passed research

### مُلخَصُ البَحْثِ:

يهدفُ هَذَا البَحْثُ إلى رصِدِ أسلوبِ التوكيدِ في بابِ احتِجَاجَاتِ الإِمَامِ ومناظراته، والوقوف عند دلالاته المعنوية ووظيفته من حيث كونه لبنةً محكمةً في بناء النصِّ الكلِّيِّ، والمعروف أنَّ أسلوب التوكيد يستعمل في مقامات محددة ويحسن حيث لا يحسن غيره من أقسام الكلم، ولَمَّا كَانَ باب الاحتِجَاجَاتِ باباً مشحوناً بإثبات معانٍ قد ينكرها منكرٌ، أو على أقلِّ تقديرٍ يماري فيها ممارٍ لَجَأَ الإِمَامُ إلى هَذَا الأسلوبِ ووظفهُ بعنايةٍ، فكان خزاناً للمعنى يشير إلى المعاني من طَرَفٍ خَفِيٍّ، وحاول البَحْثُ رصِدَ هَذِهِ الدَّلَالَاتِ والمعاني والإشارة إليها بلاغياً مبيِّناً بلاغةً اختيَّارَ هَذَا الأسلوبِ وبراعةً توظيفه.

الكلمات المفتاحية: احتجاج، أسلوب التوكيد، الإمام الجواد عليه السلام، الدلالات

والمعاني.

**Abstract:**

The purpose of this research is to monitor the emphasis style in the argumentation and debates of the Imam to assess its moral connotations and function in terms of being an authentic construction in the whole text. It is known that the emphasis method is used in specific terms and is improved where no other section of the word is improved.

As a matter of fact, argumentation is central to prove certain signs that might be denied by a denying-one or might be misconceived by a misconceiving- one , that is why the imam ploughs his way in such a style and employs its very expertly. It grows as a vessel to meanings targeting specific signs implicitly. The current article takes hold of these signs , meanings and indicators and refers to the highly eloquent style and adroit employment the imam manipulates in his speeches.

**Keywords:** argumentation , style of emphasis, Imam Al-Jawad, semantics and meanings.

## المقدمة:

يُقَسَّمُ الكَلَامُ بِاعتبارِ التوكيدِ والتأسيسِ إلى قسمين، تأسيسٍ وتأكيدٍ، فالتأسيسُ يحملُ المعنىَ للمرةَ الأولى ويقدمه بصورةَ حياديةٍ، أما التوكيدُ فيستهدفُ معنىً معروفًا مشكوكًا فيه أو منكرًا أصلًا ليؤكدَ عليه محاورًا لإثباته وإزالة الشكِّ والإنكارِ من نفسِ المخاطبِ، وكأنه مشتقٌّ من التوكيدِ في اللغةِ إذ إنَّ أصلَهُ "شدُّ السَّرجِ على ظهرِ الدابةِ بالسيورِ حتى لا يسقط، وتسمى هذه السيورُ توكيدًا وتأكيدًا، ثم استعمل التوكيدُ في توثيقِ العهودِ. ومن هذا المعنى اللغويُّ أُخِذَ لثبوتِ صدقِ الكلامِ الخبريِّ بما يؤكدُه من ألفاظِ اسمٍ (التوكيد) والغرضُ من توكيدِ المتكلمِ كلامه، إعلامُ المخاطبِ بأنه يقولُ كلامه جازمًا، قاصدًا لما يدلُّ عليه كلامه، مُتَشَبِّهًا مِنْهُ، لا يقوله عن توهمٍ أو ثرثرةٍ أو تَضليلٍ أو اختراعٍ أو نحو ذلك، كما يفعلُ صانعُ القصصِ باستعمالِ قدراتهم التخيُّليةِ في تأليفِ قصصهم المخترعة"<sup>1</sup>

فالتوكيدُ إذا أسلوبٌ ينهضُ لِيُساعدَ المتكلمَ على إثباتِ رأيه في مسألةٍ، أو في رأيٍ أو ما شابه ذلك، فلا جرمَ إذا أن يكثرَ في بابِ الاحتجاجاتِ إذ لا أحوجَ من هذا الغرضِ لهذا الأسلوبِ فالإنسانُ البليغُ يتخيرُ من الأساليبِ ما يناسبُ المقاماتِ والمعاني، والإمامُ حازَ من البلاغةِ على المكانةِ العاليةِ وبلغَ فيها أقصى غاية، وما أحرأه بذلكَ فهو الهاشميُّ المحتد، الطالبيُّ النجار، وهؤلاء قومٌ زفوا العلمَ زفًا، وأشربوا البلاغةَ والبيانَ إشرابًا.

### ١ - توكيدُ الجملةِ الاسميَّةِ:

تُعَدُّ الجملةُ الاسميَّةُ من حواملِ المعنى المهمةِ في العربية، إذ إنَّ لها استعمالاتٍ خاصةً تختلف عن استعمالاتِ غيرها من الجملِ، وذلكَ أمَّتها تدلُّ على ثباتِ المعنى واستقراره، فالمعنى الثابت المستقر الذي لا يتعرض لتحولٍ مستمرٍ تناسبه الجملة

الاسمية، وإذا شكَّ شكًّا أو أنكر منكرًا هذا المعنى الثابت احتاجت الجملة الاسمية إلى مؤكِّد من مؤكِّداتها لِيُزِيلَ هَذَا الشَّكَّ، وَيُبْطِلَ هَذَا الإنْكَارَ فيقلبه إلى يقين، ومن الأمور المعروفة أن التوكيد خاص بقسم الخبر من الكلام دون الإنشاء، و "لِتَوْكِيدِ الخَبَرِ أَدَوَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَأَشْهَرُهَا إِنَّ، وَأَنَّ، وَلَا مَّ الْإِبْتِدَاءِ، وَأَحْرَفُ التَّنْبِيهِ، وَالْقَسَمِ، وَنَوْنَا التَّوْكِيدَ، وَالْحُرُوفُ الزَائِدَةُ، وَالتَّكْرَارُ، وَقَدْ، وَأَمَّا الشَّرْطِيَّةُ، وَإِنَّهَا وَإِسْمِيَّةُ الجُمْلَةِ، وَضَمِيرُ الفَصْلِ، وَتَقْدِيمُ الفَاعِلِ المَعْنَوِيِّ"<sup>٢</sup>.

ولا بد من الإشارة إلى أن المتكلم يستعمل من المؤكِّدات بحسب درجة شك المخاطب وإنكاره، فمجرد الشك البسيط تكفيه أداة توكيد واحدة والمنكر يحتاج إلى أكثر من أداة بحسب درجة إنكاره، ولذلك قسّموا الخبر إلى ثلاثة أنواع بحسب درجة إنكار المخاطب فلدينا خبر ابتدائي وخبر طلبي وخبر إنكاري<sup>٣</sup>.

والتكلم البليغ أحياناً ينزل مخاطباً في درجة إنكار منزلة غيره لغرض بلاغيّ فيستدعي ذلك منه إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وكلّمَا كَانَ المتكلم أكثر حذقاً بكلام العرب وتقاليبه كان أقدر على استعمال كل توكيد على الشكل الذي يصيب به لبّ البيان، ومنحر البلاغة، ولما كان الكلام منقسماً إلى جمل اسمية وأخرى فعلية اختصت كل منهما بمؤكِّدات خاصة دون الأخرى، واشتركتا بمؤكِّدات تشمل قسمي الكلام، فمما يؤكد الاسمية (إِنَّ، أَنْ، كَأَنَّ، لَأَمَّ الْإِبْتِدَاءِ، مَا يُزَادُ مِنْ حُرُوفٍ فِي الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ)<sup>٤</sup>.

أمّا عن توكيد الجملة الاسمية عند الإمام فقد نزل من الكلام منزلة المحبّ المكرم في احتجاجة على نسبه الشريف سلام الله عليه، إذ لما شكك المشككون وارتاب المرتابون بنسبه الشريف وقالوا في ذلك ما قالوا زوراً وبهتاناً خطب بفصاحة هاشمية، وبلاغة طالبية قائلاً: "معاشر الناس أنا محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن

جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي سيد العابدين بن الحسين الشهيد بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وابن فاطمة الزهراء، وابن محمد المصطفى (صلوات الله عليهم) ففي مثلي يُشكُّ؟ وعليّ وعلى أبويّ يفترى، وأعرض على الفاقة؟، وقال: والله إنني لأعلم بأنسابهم من آبائهم، إني والله لأعلم بواطنهم وظواهرهم، وإني لأعلم بهم أجمعين، وما هم إليه صائرون، أقوله حقًا، وأظهره صدقًا، علمًا ورثناه الله قبل الخلق أجمعين وبعد بناء السموات والأرضين...<sup>10</sup>.

ولعمري لقد أبان منطقُهُ عن طيبِ عنصْرِهِ إذ كيفَ يصدرُ مثلُ هذا الكلامِ عن غيرِ نسيبٍ حسيبٍ، وشريفٍ لطيفٍ تألّقَ نسبه طهرًا وفاق الخلق طُرًّا، ولما كانَ كلامُهُ موجَّهًا في الأصلِ إلى معانِدٍ في مضمونِهِ وجاحدٍ كانَ لزامًا عليه أن يُضْمِنَهُ من التوكيدِ ما يُبيِّرُ حجةَ المعانِدِ، ويُزيلُ جحودَ الجاحدِ، وهكذا كانَ إذ إنَّ التأمّلَ في هذا النصِّ يجدُ أنه يقطرُ معاني بلاغيةً عبرتْ بالعبارةِ حينًا وبالإشارةِ حينًا آخرَ، وحمل اللفظُ المعنى حينًا وأفاده التركيبُ والاختيارُ أحيانًا أخرى، ويظهرُ التوكيدُ أكثرَ ما يظهرُ في هذا النصِّ في قوله عليه السلام (والله إنني لأعلم بأنسابهم من آبائهم، إني والله لأعلم بواطنهم وظواهرهم، وإني لأعلم بهم أجمعين، وما هم إليه صائرون، أقوله حقًا، وأظهره صدقًا). إذ أقسمَ على الكلامِ وهو من أدواتِ توكيدِ الجملتين، وجاءَ بالبناءِ مبنياً على الجملة الاسمية وهي بحد ذاتها من أساليبِ التوكيدِ كما تقدم بيانه، وأدخلَ (إنَّ) المؤكِّدةَ، واللامَ المزحلقةَ وهما من أدواتِ التوكيدِ. فما الداعي إلى حشدِ كلِّ هذه المؤكِّداتِ؟

يُخرجُ البليغُ الخبرَ على صورةِ تناسبٍ درجة إنكارِ المخاطبِ لمضمونِ هذا الخبرِ، ومخاطبُ الإمامِ شديدُ الإنكارِ لمضمونِ كلامِهِ إذ هو شاكٌّ في نسبه الشريفِ فكيفَ يصدِّقُ علمَهُ بكلِّ ذلكَ، وهذا العلمُ مُسبَّبٌ عن النسبِ، فإنكارُ السببِ أقوى من

إنكارِ المسبب، وهكذا احتاج الكلام أقصى غايات التوكيد وأكثر بنى الكلام احتمالاً للتوكيد، وتوجيه المعاني الضمنية، فقد بدأ الإمام حديثه باستفهام إنكاري توبيخي تعجبي فني مثلي يشك؟ وعليّ وعلى أبوي يفترى، وأعرض على الفاقة؟ وفي ذلك تشنيع على المرتكبين وتبكيث لهم إذ هل يعقل أن يتهم أمثالي، وهذا التركيب من القوة بمكان إذ لم يقل سلام الله عليه أفي يشك بل قال أفي مثلي يشك، وذلك أبلغ، إذ المعنى أنه لو قدر أن يوجد رجل مثلي بشيء من الأشياء لما كان يعقل أن يشك به، فكيف يشك بي، وهذا أسلوب الحاذقين والعالمين، ثم انتقل إلى كلامه عن أنسابهم إذ هم أولى الناس بالتأكد من أنسابهم لا أنا وأمثالي، فأقسم على علمه به علماً يقينياً لا شك فيه، ومثل الإمام لا يقسم إلا على حق، ثم أكد جواب القسم وصدّره بـ (إن) وجاء باسمها ضمير المتكلم، وهو من أكثر الكلمات دلالة على مدلولها إذ لا يشارك المتكلم في لفظ أنا وباء المتكلم أحد غيره، وفي ذلك دلالة على توكيد المعنى وحصره في جهته سلام الله عليه، ثم أدخل اللام المزحلقة على الخبر وفي ذلك توكيد آخر وجاء بالخبر اسم تفضيل، يومئ من طرف خفي إلى معنى فضله على الناس أجمعين، ثم يأتي بالمفضولين في جهة العلم بالنسب وهم آباء هؤلاء المدّعين المنكرين، فهو رضي الله عنه أعلم بأنسابهم من آبائهم، وهذا معنى يحتاج كل هذه المؤكّدات لأنّه لا يتصوره عقل محدود، ولكن توكيده من الإمام بكل هذه المؤكّدات وقسمه عليه جعله من البديهيّات إذ إن الإمام لا يجري الباطل على لسانه فضلاً عن أن يقسم عليه.

ثم أكد الإمام معنى آخر ليس أقل حاجة للتوكيد من المعنى الأول ألا وهو معنى علمه بباطنهم وظاهرهم، لذلك حشد له من المؤكّدات ما حشد للمعنى الأول، ولكنّه قدّم فيه وأخر على عكس الكلام فجاء بإنّ مع اسمها ثم أقسم على ذلك وكأنّه أراد أن يقول للمخاطب أتعجب من علمي بأنسابهم أكثر من آبائهم؟ فلا

تعجب فإني أعلم ما هو أشد عجباً منه وهو علمي بالباطن كعلمي بالظاهر، وفي ذلك أكثر من ملمح بلاغيٍّ أولها أنه قدّم نفسه؛ لأنه في مقام يقتضي تقديمها فهو ينافح عن نسبه الشريف فاهتمامه منصبه على نفسه وإماطة الأذى عنها لذلك قدمها في صدر الجملة والعرب يقدمون ما بيانه أهم وهم بيانه أعنى<sup>٦</sup>. ثم أتى بالقسم قبل أن يذكر خبر (إن) إذعانا بأنه سيأتي بالخبر عجباً فإذا جاء الخبر بغرابته كان ذهن المخاطب مستعداً لتلقيه مهيباً للرسوخ فيه، فصادف عيث كلمه تربة قلب كريمة، ثم إن بناء الكلام على هذه الطريقة يبقي المتلقي مشدوداً يريد أن يعلم ما بعد هذا العنصر اللغوي فإن تحتاج إلى اسم وخبر ولا يتم معناها إلا بالخبر، والقسم يحتاج إلى جواب وذهن المتكلم عندما يسمع لهذه العناصر يتهيأ لسماع أمر مهم، فما بالك إذا كان المتكلم بحجم الإمام لا شك في أنه سيسمر أقدام المخاطب أمام جلال الكلمات حتى يتمها الإمام فتقع في قلبه أحسن موقع، ولعمري بعد كل هذا كيف يتسلل أدنى شك إلى قلب عاقل يسمع هذا الخطاب ثم يشك في نسب قائله، فلعمري إن هذه البلاغة وحدها شهادة ولادة منتجة في بيت النبوة، ودليل انتسابه إلى العترة الطاهرة والدوحة النقية.

وليس بعيداً عما تقدم من تأكيد الإمام للجملة الاسمية حديثه مع المأمون الخليفة العباسي وهو فتى، فقد ورد أن "المأمون خرج يوماً يتصيد فاجتاز بطرف البلد وثم أطفال يلعبون ومحمد الجواد عليه السلام واقف عندهم. فلما أقبل المأمون فر الصبيان ووقف محمد الجواد وعمره إذ ذاك تسع سنين، فقال له: يا غلام ما منعك أن تفر كما فر أصحابك، فقال له الإمام محمد الجواد عليه السلام مسرعاً: إنما فر أصحابي فرقا والظن بك حسن، إنه لا يفر منك من لا ذنب له ولم يكن بالطريق ضيقاً. .<sup>٧</sup>



فالمتمامل في هذا النص يجد أنه صيغ في غاية العناية والدقة وبلغ شأواً سامقاً من البيان وكان التوكيد فيه مكتملاً للمعنى متمماً لرونق الكلام، وفي بيان ذلك نقول: إن كلام الإمام جاء رداً على سؤال المأمون عن سبب بقائه ثابتاً مع فرار أقرانه، ثم ذكر فرار قرنائِهِ من المأمون بخبرٍ عاديٍّ ذَكَرَ فيه سبب فرارهم واختارَ له من البنى الكلامية ما يناسبه من فعلٍ ماضٍ يدلُّ على حدوث الفعل وانقضائه مع ذكرِ المفعول لأجلِهِ (فرقاً) الذي يدل على سبب فرارهم، ولم يُضفْ على ذلك شيئاً وهذا ملمحٌ أدبيٌّ جَمُّ، فهو قد أجاب عن على قدرِ السؤال، ثم أردفَ كلاماً يبيِّنُ فيه سبب عدم هروبه مع أصحابِهِ، واختارَ لها من الكلام صيغةً فقال (والظنُّ بك حسنٌ)، وهذه جملةٌ مبنيةٌ وفق الإسنادِ الاسميِّ الذي يُفيدُ التوكيدَ بحدِّ ذاته، ونراه يختارُ من الجملةِ الاسميةِ أبسطَها وأكثرَها ملاءمةً فهي مؤلَّفةٌ من مبتدأٍ وخبرٍ، والمبتدأُ معرفٌ بـ (ال)، وهذه الأداة هنا نائيةٌ عن ضميرِ المتكلمِ<sup>٨</sup>، أي وظنيُّ بك حسنٌ، لأنَّ الكلامَ في معرضِ حديثِهِ عن أسبابِ عدم هروبه، ولكنَّ عدوله عن (ظني) إلى الظنِّ يحملُ في طبيّته من المعنى وحسنِ الصياغةِ وبلاغةِ الاختيارِ، وهذه عبارةٌ من صبيِّ هاشميِّ قطعاً إذ تنقطعُ دوماً آمالُ المتكلمينَ ولا يبلغُ شأوهاً بليغاً.

ثم يتابع في تأكيد الكلام ليقول كلاماً لا يقلُّ بلاغةً عن سابقِهِ، ولا تختلفُ درره عن درره، فيقول: (إنَّه لا يفرُّ منك مَنْ لا ذنبَ له ولم يكنْ بالطريقِ ضيقاً)، فذكر (إنَّ) لتوكيدِ مضمونِ الخبرِ، وجعله من الأمورِ الثابتةِ التي لا يباري فيها مमारٍ، ويأتي باسمِها ضميراً للشأنِ الذي يفيدُ تعظيمَ المقصودِ من الكلامِ<sup>٩</sup>، ويعطيه حكماً عاماً أي إنَّ الشأنَ العامَّ أنَّه لا يفرُّ منك مَنْ لا ذنبَ له، وجاء بخبرٍ إن جملةً فعليةً مضارعيةً لتدلُّ على تجددِ الحدثِ واستمرارِهِ، وهذا ميدانٌ تكبو فيه الجيادُ إلا الأصيلَ منها، ولا يثبتُ فيه إلا القليلُ. ثم جاء بالفاعلِ موصولاً (من) ليحوّلَ في طبيّته معنى العمومِ

لكل من لم يرتكب ذنباً، وإن كان يقصدُ هنا نفسه (سلام الله عليه) فقال اختصاراً للكلام، وقد طبق فيه الإمام المفصل، وأتقن المحرز في البلاغة، وهل البلاغة إلا موافقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

وقد يكتسي أسلوب التوكيد حلة أبلغ من حلة مجرد التوكيد فيعرض في حلة الحصر والقصر وهذا الأسلوب يضيف إلى التوكيد حصر المعنى في جهة واحدة، ومن استعمال الإمام عليه السلام لهذا النوع من التوكيد في الجملة الاسمية، وقد كان حاذقاً باختيار هذا الأسلوب هنا (فإنما) "تفيد إثبات الشيء المذكور ونفي ما عداه، تقول: إنما له عندي درهم، فتثبت الدرهم، وتنفي ما سواه، فهي بمنزلة: ما وإلا في قولك: ما له عندي إلا درهم"<sup>١١</sup>. وكأنه بهذا التركيب يريد أن يحصر حيثيات المسألة المطروحة بجهة مشابهة لا تعدوها، ثم يوصل حكم تلك الجهة لينجر الحكم إلى المسألة المذكورة دون عناء، وهذا ملمح إقناعي غاية في الدقة، فالانطلاق في إثبات شيء للمخاطب من شيء ثابت عنده آلية إقناعية ناجعة، ودرس تعليمي تربوي يخط بأحرف من ذهب.

ولا ننسى هنا أن نشير أيضاً إلى العناصر اللغوية التي اختارها الإمام عليه السلام في هذا النص وما تحتزن من معانٍ غير مباشرة تعبر إلماحاً، فيختار أيضاً عنصراً شرطياً مناسباً جداً للمعنى الذي يريدُه الإمام عليه السلام، وهو (إن) الدال في أصل استعماله على الشك والاحتمال، لذلك عدّ سيويه استعمالها مع الأفعال المتحققة الوقوع قبيحاً فقال: ((... ألا ترى أنك لو قلت: آتيك إذا احمرّ البسرُ كان حسناً ولو قلت آتيك إن احمرّ البسرُ كان قبيحاً...))<sup>١٢</sup>، وكذلك فرّق السيوطي (٩١١ هـ) بين (إن) و(إذا) في الربط الشرطي فقال: ((وتختص (إذا) بما يتعين وجوده... أو رجح... بخلاف (إن) فإنها تكون للمحتمل والمشكوك فيه والمستحيل كقوله ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَكَدُّ...﴾ \*الزخرف ٨\*...))<sup>١٤</sup>، واختيار الإمام له هنا ينم على بلاغة عالية وقدرة على التعبير غير المباشر لا يبلغ شأوها.

### توكيد الجملة الفعلية:

تنهض الجملة الفعلية بمعان خاصة تتفق مع دلالة الأفعال على الأحداث أو لا وعلى الأزمنة ثنائية، ومن هنا كان استعمال الفعل الماضي دليلاً على الأحداث التي وقعت في الماضي وانتهت واستحالت إلى أخبار يتناقلها المتكلمون، ويدل استعمال المضارع على واحد من معنيين الأول هو الدلالة على التجدد والاستمرار، والثاني هو الدلالة على إحضار الصورة أمام ذهن المتلقي لعجب بها أو غرابة أو ندور، ويدخل التوكيد على هذه الجملة مؤكداً هذا المضمون إذا احتاج بيانه إلى توكيد، ومن مؤكدات الجملة الفعلية:

١- "السين": وهي حرف يختص بالمضارع ويخلصه للاستقبال، والسين إذا دخلت على فعل محبوب أو مكروه أفادت أنه واقع لا محالة، ووجه ذلك أنها تفيد الوعد أو الوعيد بحصول الفعل، فدخولها على ما يفيد الوعد أو الوعيد مقتض لتوكيده وتثبيت معناه.

فهي في مثل قوله تعالى: [أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ] مفيدة وجود الرحمة لا محالة، ولذلك فهي تؤكد هنا حصول فعل الوعد. كذلك هي في مثل قوله تعالى: [تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ] تؤكد حصول فعل الوعيد الذي دخلت عليه وتثبت معناه بأنه كائن لا محالة وإن تأخر إلى حين<sup>١٥</sup>.

٢- "قد": التي للتحقيق، نحو قوله تعالى: [قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ]، فهي في مثل هذه الجملة تفيد توكيد مضمونها؛ أي أن فلاح المؤمنين الخاشعين في صلاتهم حق ولا محالة حاصل.

٣- "القسم": وأحرفه "الباء، والواو، والتاء"، و"الباء" هي الأصل في أحرف القسم لدخولها على كل مقسم به، سواء أكان اسماً ظاهراً أو ضميراً، نحو: أقسم بالله، وأقسم بك.

٤- "نونا التوكيد": وهما نون التوكيد الثقيلة، أي المشددة، ونون التوكيد الخفيفة، أي غير المشددة، وهما يدخلان على المضارع بشروط وعلى الأمر جواراً، وقد اجتماعاً في قوله على حكاية على لسان امرأة عزيز مصر في قصة يوسف: [وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيَسْجَنَنَّ وَيَلْيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ] ١٦.

٥- الحروف الزائدة ١٧.

ومن توكيد الإمام عليه السلام للجملية الفعلية قوله محاججاً عن إمامته وقد أخذ عليه بعضهم حداثة سنة: " وما ينكرون من ذلك قول الله عز وجل، لقد قال الله عز وجل، ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ ، فوالله ما تبعه إلا علي عليه السلام وله تسع سنين، وأنا ابن تسع سنين " ١٨.

ونجد الإمام هنا يؤكد الجملة الفعلية في موضعين، الأول في قوله: لقد قال الله عز وجل، وأدخل عليها مؤكدين، والظاهر أن المخاطب غير منكر لمضمون الخبر (١٩) فما الداعي إلى هذا التوكيد؟ كأن الإمام أراد أن يذكر هؤلاء على سوء ظنهم فنزلهم منزلة من أنكر هذه الآية، فأكد أن الله قالها بمؤكدين هما القسم المحذوف (قد)، فاللام الداخلة على (قد) واقعة في جواب قسم محذوف على الأصح، فكأنه يشير إلى أن من ينكر إمامته ينكر مضمون الآية، فيستحق أن ينزل منزلة المنكر لها.

أما الموطن الثاني الذي أكده الإمام في هذا النص فهو قوله: (فوالله ما تبعه إلا علي عليه السلام وله تسع سنين، وأنا ابن تسع سنين) وفي هذا التوكيد إشارة إلى معنى يغفل عنه الكثيرون وهو أسبقية أمير المؤمنين علي باتباع النبي عليه الصلاة والسلام، فلما نازع في ذلك قوم أكد هذا الخبر بالقسم، وصاغه بأسلوب الحصر أي لم يتبع المصطفى إلا المرتضى، ثم قارن بين سنة الآن وسن أمير المؤمنين يوم اتبع المصطفى ليتهي إلى معنى عميق من مقارنة ظاهرة، فكما ارتضى الله اتباع علي عليه السلام للمصطفى

عليه الصلاة والسلام وهو ابن تسع سنين يرتضي إمامتي وأنا ابن تسع سنين، وهل الإمامة في حقيقتها إلا اتباعٌ للمصطفى عليه الصلاة والسلام؟.

وتقدم أن من بين أدوات التوكيد الحروف الزائدة، ومن استعمالها للتوكيد عند الإمام (لستُ بمنكرٍ) قول أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في حجة الوداع: قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر بعدي فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار، فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله عز وجل وستتي، فما وافق كتاب الله وستتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وستتي فلا تأخذوا به، وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾، ٢٠١.

ويظهرُ التوكيد في أول كلام الإمام في قوله: لستُ بمنكرٍ فقد جاءَ بالباءِ الزائدةِ داخلة على خبر ليس، وهذه الباء تفيد التوكيد<sup>٢٢</sup> لأنها زائدة فالغرض المعنوي الأول للحروف الزائدة هو توكيد المعنى الذي تدخل عليه إيجاباً كان أم نفيًا، وعليه فإذا دخلت على نفي أفادت توكيد النفي أي إنَّ المعنى الذي نريدُ نفيه ليس فقطً منفيًا بل هو منفيٌّ بشدةٍ وتوكيدٍ، ولما نفى الإمام إنكاره لم يكتفِ بالنفي، بل أكد مضمونَ النفي بالباء الزائدة ليزيل أدنى درجات الشك عند المخاطب في كونه على غير الصفة التي يذكرها، فالإمام غير منكرٍ للقول، ولكنَّ الخبرَ مشكِلٌ، وهنا تبرزُ بلاغةُ الإمام عليه السلام بأبهى صورةٍ، فقد سئل عن رأيه في خبر واردٍ في فضل الصديق، وهذا الخبر يحتاج إلى تثبت من وجهة نظر الإمام عليه السلام، فلو أنه أجاب عن الخبر دون مقدمات لتوهم السامع أنه ينكر، فقدّم الإمام عليه السلام نفيه وتوكيده لنفي الإنكار ثم اتجه يناقش الخبر الوارد، و بهذا جاء كلام الإمام عليه السلام كاشفًا عن مضامين بلاغية، وقد انبرى كلامه فقيهاً محدثًا بلاغيًا ذاحجًا كلامية، إذ انطلق في معالجة الحديث من حديث

مشهور هو تحذير المسلمين من الأخبار الموضوعية، وإرشادهم أن يعرضوا كل ما يسمعون على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه، فما وافق كتاب الله وسنة المصطفى أخذ به، وما خالف كتاب الله وسنة المصطفى لم يؤخذ به، ثم بين أن هذا النص غير متوافق مع كتاب الله فالأولى عدم الأخذ به، واحتاج بداية إلى توكيد النفي لما قدمناه من توهم سامع أنه ينكر، فهو لا ينكره البتة، ولكن يعالج النصوص علمياً وفق الكتاب والسنة.

ومن أساليب التوكيد التي استعملها الإمام لتوكيد مضمون كلامه قوله في حضرة المعتصم العباسي وقد دار الحديث حول قطع يد السارق من أين يكون؟ فقال فيه القوم ما قالوا وكان للإمام عليه السلام رأيٌ آخر، ولكنه لأدبه وعلمه بأدب الحديث كان صامتاً لا يذكر شيئاً مما يخالف القوم حتى إذا توجه المعتصم له بالسؤال، فقال عليه السلام: تكلم القوم فيه " فقال: دعني مما تكلموا به، أي شيء عندك؟ فقال: اعفني من هذا، فقال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه، فقال عليه السلام: أما إذا أقسمت علي فإني أقول: إنهم أخطؤوا فيه السنة فإن القطع يجب أن يكون من فصل أصول الأصابع فيترك الكف، قال: وما الحجة في ذلك؟، قال: قول رسول الله ﷺ السجود على سبعة أعضاء الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قطعت يده من الكر سوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها. . . ٢٣٣ .

ورد التوكيد في كلام الإمام عليه السلام في اختياره حرف الشرط (أما)٢٤، ويفيد الشرط والتفصيل والتوكيد، وكأن الإمام أراد أن يؤكد على جزئية في الكلام عبر عنها دون عبارة مكتفياً بالإشارة، واللبيب من الإشارة يفهم، وبالإشارة يفهم، وهي أنه عليه السلام ليس في معرض الحديث بعد أن تحدث القوم في المسألة وقالوا فيها وأدلوا برأيهم فيها، لذلك نجده يعتذر عن الكلام بعدهم، فهو لأدبه الجمّ أولاً، واختلاف رأيه

عنهم ثانياً فضّل الصمت وعدم الكلام، ولكن ألحّ عليه المعتصم بالكلام بالقسم حتّى لم يدع له خياراً آخر، فابتدأ كلامه بهذه الجملة التي حوت التوكيد، ليقول إني لم أكن في معرض الحديث، ولم أكن لأتحدث لولا قسمك، فالأدب يقتضي عدم الحديث في معرض حديث الآخرين، ولكن أصبح الكلام لزاماً عليّ بعد قسم المعتصم، فكلامي في هذه المسألة جاء براً له بقسمه لا لشيءٍ آخر قد يُتوهم من حبّ مخالفتهم، أو تبطلُ بإظهار العلم أو نحو ذلك.

## الخاتمة:

بعد هذه الرحلة الحاملة في روضة الإمام عليه السلام اللغوية النابتة في تربة هاشمية عرفت الفصاحة نسباً، ورضعت البلاغة لبناً نستطيع أن نجمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث بالآتي:

١- استعمل الإمام الجواد عليه السلام أسلوب التوكيد ببلاغة ووظفه ببراعة فجاء حاملاً من المعاني بالقدر الذي أراد له الإمام عليه السلام أن يحمل فنزل في الجملة منزلة محكمة تزيل ران الشك وتبدد غشاوة الإنكار.

٢- تعاضد أسلوب التوكيد مع غيره من العناصر اللغوية فكان لبنة محكمة في بناء النص تشد عضد ما قبلها وتكون أساساً مناسباً لما بعدها، وفي ذلك دليل على براعة اختياره في مكانه وتوظيفه في محله.

٣- أكثر الإمام عليه السلام من المؤكدات في احتجاجه لنسبه الشريف وأشرنا إلى أن ذلك مما يقتضيه المقام فهو موجه في أصله للمشككين والمنكرين لنسبه الطاهر، وهذا يدل على بلاغته الهاشمية إذ يختار لكل مقام ما يلائمه من عناصر لغوية تؤدي الغرض على أكمل وجه، وأشرنا في هذا المقام إلى أن هذه البلاغة شهادة نسبه الشريف ودليل عرقه النبيل إذ لا يجري هذا الكلام إلا على لسان هاشمي المحتد طالبي النسب محمدي الهوى فاطمي الانتماء.

٤- استعمل الإمام عليه السلام تقنيات تعبيرية عالية وخاصة في الخطاب الإقناعي وكان الخطاب غاية في الدقة، فالانطلاق في إثبات شيء للمخاطب من شيء ثابت عنده آلية إقناعية ناجعة، ودرس تعليمي تربوي يخط بأحرف من ذهب، وقد برزت بلاغة الإمام بأبهى صورة، ثم اتجه يناقش الخبر الوارد مناقشة علمية.



- ٦- ظهر الإمام محدثاً بارعاً وبلاغياً ألمعياً ومحاجباً من الطراز الرفيع وقد حشد في باب احتجاجه كل فنون العلم في إثبات آرائه ودعم معتقداته.
- ٧- كان باب الاحتجاج مضماراً ظهرت فيه قدرة الإمام على توظيف العناصر اللغوية عامة وأسلوب التوكيد خاصة في خدمة موضوعاته وحججه، ودعم آرائه بقوة فهدم أصنام الكلام المزيف وأقام شرائع القول فتلاشت أمام بلاغته قوى الكلمات الواهنة وذبلت أعشاب القول الباهت أمام شمس كلامه الوضاعة.

## هوامش البحث:

- (١) البلاغة العربية أسسها وعلومها - ج ١ / ١٨٦ .
- (٢) جواهر البلاغة / ٥٨ .
- (٣) انظر علوم البلاغة للمراغي / ٤٩ .
- (٤) انظر أساليب بلاغية / ٩٣ وما بعدها .
- (٥) موسوعة الإمام الجواد / ٣٩٩ - ٤٠٠ .
- (٦) انظر هذه القاعدة البلاغية في التقديم والتأخير كتاب سيبويه - ج ١ / ٣٤ . والبديع في علم العربية - ج ١ / ٩٧ ، وتفسير البحر المحيط لأبي حيان - ج ٣ / ٤٩٢ .
- (٧) موسوعة الإمام / ٤٠٢ .
- (٨) قَالَ الْمَرَادِيُّ فِي حَدِيثِهِ عَنْ (أَلِ) النَّائِبَةِ عَنِ الضَّمِيرِ: " تَكُونُ عَوْضًا مِنَ الضَّمِيرِ . هَذَا الْقِسْمُ قَالَ بِهِ الْكُوفِيُّونَ ، وَتَبِعَهُمُ ابْنُ مَالِكٍ . وَمِنْ أَمْثَلْتَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (جَنَاتٍ عَدْنٍ مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: (فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) أَي: أَبْوَابُهَا ، وَهِيَ مَأْوَاهُ . وَمَذْهَبُ أَكْثَرِ الْبَصْرِيِّينَ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي ذَلِكَ مَحْذُوفٌ وَالتَّقْدِيرُ: مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ مِنْهَا ، أَوْ لَهَا ، وَهِيَ الْمَأْوَى لَهُ . وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي نَحْوِ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ حَسَنِ الْوَجْهِ ، أَي: مِنْهُ ، أَوْ لَهُ " الْجَنَى الدَّانِي / ١٩٨ - ١٩٩ .
- (٩) قَالَ ابْنُ مَالِكٍ فِي حَدِيثِهِ عَنْ ضَمِيرِ الشَّانِ: " قَدْ يَقْصِدُ الْمُتَكَلِّمُ تَعْظِيمَ مَضْمُونِ كَلَامِهِ قَبْلَ النُّطْقِ بِهِ ، وَيُقَدِّمُ ضَمِيرًا كَضَمِيرِ غَائِبٍ يُسَمَّى ضَمِيرِ الشَّانِ ، وَيَعْمَلُ فِيهِ الْإِبْتِدَاءُ ، أَوْ أَحَدُ نَوَاسِخِهِ ، وَهِيَ "كَانَ" وَ"إِنَّ" وَ"ظَنَّ" أَوْ إِحْدَى أُخَوَاتِهِنَّ . وَيَجْعَلُ الْجُمْلَةَ بَعْدَهُ مَتَمِّمَةً لِمُقْتَضَى الْعَامِلِ نَحْوِ: "هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . وَ"كَانَ اللَّهُ أَحَدٌ" . وَ"إِنَّهُ اللَّهُ أَحَدٌ" . وَ"عَلِمْتَهُ اللَّهُ أَحَدٌ" . شَرَحَ الْكَافِيَةَ الشَّافِيَةَ - ج ١ / ٢٣٤ - ٢٣٥ .
- (١٠) موسوعة الإمام / ٤٠٦ .
- (١١) المآخذ على شراح أبي الطيب - ج ٢ / ٩٩ .
- (١٢) معنى التراخي معروف مشهور في الاستعمالات العربية، فقد علق المرزوقي على قول الشاعر:
- (١٣) وكم دهمتني من خطوبٍ ملمةٍ صبرت عليها ثم لم أتخشع
- (١٤) بقوله: " فأما فائدة العطف بثم من قوله " ثم لم أتخشع " فهو إبانة الاستمرار في الصبر، وإن طالت المهلة إلى أن انكشفت تلك الملمات العارضة وانفرجت. ومعنى دهمتني: فاجأتني، ومنه الدهم ودهماء الناس". شرح الحماسة / ١٩٠ .
- (١٥) الكتاب ج ٣ / ٦٠ . والبسر: التمر قبل أن يربط لغضاضته - لسان العرب - مادة بسر - ج ٤ / ٥٨ .
- (١٦) همع الهوامع ج ٢ / ١٧٩ - ١٨٠ .

(١٧) ينظر علم المعاني / ٥٦.

(١٨) ينظر السابق / ٥٨.

(١٩) ذكرها بين أدوات التوكيد السيد أحمد الهاشمي في جواهر البلاغة / ٥٨.

(٢٠) موسوعة الإمام الجواد / ٤٠٠.

(٢١) جاء شقيقاً عارضاً رُمحَهُ إنَّ بني عمك فيهم رماحُ

(٢٢) (فشقيقٌ) رَجُلٌ لا يُنكر رماحَ بني عمِّه، ولكن مجيئه على صورة المعجب بشجاعته، واضعاً رُمحَهُ بالعرض وهو راكب أو حاملاً له عرضاً على كتفه في جهة العدو بدون اكترائه به، بمنزلة انكاره أنَّ لبني عمِّه رماحا، ولن يجد منهم مُقوماً له كأنهم كلهم في نظره عُزْلٌ، ليس مع أحد منهم رُمحٌ. فأكد له الكلام استهزاء به، وخطبَ خطاب التفات بعد غيبة تهكما به، ورمياً له بالنزق وخرق الرأْي". جواهر البلاغة ج ١ / ٥٩.

(٢٣) موسوعة الإمام الجواد / ٤٠٣.

(٢٤) ذكر عباس حسن في شأن هذه الباء الداخلة على أخبار الأفعال الناسخة: "وإذا كان خبر الناسخ منفياً إما "بليس" غير الاستثنائية، وإما "بما" على الوجه السالف جاز أن يدخل عليه حرف الجر الزائد: "الباء" نحو: ليس الحِلْمُ ببلادة، وما كان الحليم ببليدٍ يحتمل المهانة"، أي: ليس الحِلْمُ ببلادة، وما كان الحليم ببليداً يحتمل المهانة. فزيدت "باء الجر" في أول الخبر المنفي في المثالين - وأشباههما - لغرض معنوي؛ هو: توكيد النفي وتقويته". النحو الوافي - ج ١ / ٥٩١-٥٩٢.

(٢٥) موسوعة الإمام الجواد عليه السلام / ٤١٠.

(٢٦) قال عنها سيبويه إنها تعني مهما يكن من شيء، فحين فسّر: أما يوم الجمعة فإنك ذاهب، قال: إن المعنى يوم الجمعة مهما يكن من شيء فإنك ذاهب، وهي تفيدُ إلى جانبِ دلالتها على الشرط التوكيد والتفصيل، وقد تابع النحاة سيبويه في تفسير معناها مع إشارتهم إلى إفادتها التوكيد وربّما أشاروا إلى إفادتها التفصيل. وقد استدّلوا على كلِّ أمرٍ تفيدُه (أما) بدليل من استعمالها، فدليل دلالتها على الشرط لزوم الفاء بعدها، ودليل دلالتها على التفصيل فهو غالبُ حالِ استعمالها، إذ يكثرُ أن تستعملَ في سياقِ التفصيل بين الأشخاص أو الصفات، أو ما شابهه كقوله تعالى: ((فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا)) \* البقرة ٢٦ \* ودليل استعمالها للتوكيد فهو أنك إن أردت أن تؤكد الجملة (زيدٌ منطلق) قلت: أما زيد فمنطلق. انظر - الكتاب - سيبويه - ج ٣ / ١٣٧. والمقتضب - المبرّد - ج ٢ / ٧١، والمفصل في صنعة الإعراب - الزمخشري - ج ٣ - / ٤٤٣، وشرح الكافية الشافية - ابن مالك - ج ٣ / ١٢٤٦، ومغني اللبيب - ابن هشام - ج ١ / ٧٨ - وجمع الموامع - السيوطي - ج ٢ / ٥٧٧، والنحو الوافي - عباس حسن - ج ٤ / ٥٠٤.

## قائمة المصادر والمراجع:

- المرزوقي. ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م. شرح ديوان الحراسة، غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة إبراهيم شمس الدين. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى.
- \* الرفاعي، أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي. ١٩٨٠ م. أساليب بلاغية: الفصاحة - البلاغة - المعاني. الكويت: وكالة المطبوعات. الطبعة الأولى.
- \* الأندلسي، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان. ٢٠٠١ م. تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود. الشيخ علي محمد معوض. البحر المحيط: لبنان. بيروت: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى.
- \* ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري. ١٤٢٠ هـ. البديع في علم العربية، تحقيق ودراسة: د. فتحي أحمد علي الدين. مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى. الطبعة الأولى.
- \* الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَكَة. ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م. البلاغة العربية. دمشق: دار القلم. بيروت: الدار الشامية. ط ١.
- \* المالكي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري. ١٤١ هـ - ١٩٩٢ م. الجنى الداني في حروف المعاني: تح د. فخر الدين قباوة - الأستاذ محمد نديم فاضل. بيروت - لبنان:
- \* دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى.
- \* الهاشمي، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: تح د. يوسف الصميلي. بيروت: المكتبة العصرية.
- \* الأصفهاني، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي. ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م. شرح ديوان الحراسة، غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة إبراهيم شمس الدين. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى.
- \* الجبائي، ابن مالك. د. ت. شرح الكافية الشافية: تح عبد المنعم الهريدي. جامعة أم القرى: مركز البحث العلمي. ط ١.
- \* المراغي، أحمد بن مصطفى. د. ت. علوم البلاغة (البيان، المعاني، البديع) د. ط.
- \* سيويه، ١٩٨٨ م. تح: عبد السلام هارون. القاهرة: مكتبة الخانجي. ط ٣.
- \* أبو العباس، أحمد بن علي بن معقل، عز الدين الأزدي المَهَلَّبِي. ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م. المآخذ على شُرح ديوان أبي الطَّيِّب المُتَنَبِّي: تح د. عبد العزيز بن ناصر المناع. الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. الطبعة الثانية.
- \* الرَّمَحْشَرِي، محمود بن عمر. ١٩٩٣ م. المفصل في صنعة الإعراب: تح علي بو ملح. بيروت: مكتبة الهلال. ط ١.
- \* المقتضب، محمد بن يزيد المبرد. د. ت. تح عبد الخالق عزيمة. بيروت: عالم الكتب.
- \* الخزعلي، آية الله أبي القاسم. د. ت. موسوعة الإمام الجواد: الجزء الثاني، اللجنة العلمية في مؤسسة ولي العصر للدراسات الإسلامية.
- \* حسن، عباس. د. ت. النحو الوافي. مصر: دار المعارف ط ١٥.
- \* السيوطي، جلال الدين. د. ت. همع الهوامع شرح جمع الجوامع: تح: عبد الحميد هنداوي. المكتبة التوقيفية.